المقـــــدمــة

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَـدِّمَـةٌ

الحمدُ للهِ بارئ النسمِ، وموجدِ الأشياءِ منَ العدمِ، الـذي أبـرمَ فـأحكمَ، وأجـزلَ فـأنعمَ، وعلمَ الإنسانَ ما لمْ يعلمْ، وصلَّى اللهُ على محمدٍ المبعـوثِ بالـدينِ الأقـومِ وعـلى آلـهِ وصـحبهِ ذوي السبقِ الأقدمِ،

وبعدُ..

فإنَّ **"نجيبَ الكيلانيّ"** يمثلُ ظاهرةً فريدةً في أدبنَا العربيِّ المعاصرِ، يشهدُ بذلكَ إنتاجٌ أدبيٌّ دافقٌ غزيرٌ متنقلٌ بينَ فنونِ الأدبِ المختلفَةِ: شعرًا، وروايةً، وقصـةً، ومسرحيةً، ومقالـةً، وسـيرةً ذاتيةً، فضلا عن إسهاماتِهِ في قضَايَا الفكرِ الإسلاميِّ، ودورِهِ في صياغةِ نظريةٍ لـلأدبِ الإسـلامي المعاصرِ.

ونجيبٌ الكيلانيِّ-كذلك-أديبٌ فريدٌ بينَ لِداتِهِ وأترابِهِ، فلقد كان حريصًا دائمًا على تجاوزِ النطاقِ المحلي الضيق؛ ليحلقَ بأدبِهِ في آفاقٍ عالميةٍ وإنسانيةٍ رحيبةٍ، تُنْبِئُكَ بذلكَ قصـائدُهُ ورواياتُـهُ التي عالجَ فيهَا قضايَا العالمِ الإسلاميِّ في فلسطينَ، ولبنانَ، وأفغانستانَ، وإندونيسيَا، وتركسـتانَ، ونيجيريا، والحبشةِ، مثل: "عُمَرُ يظهرُ في القدسِ"، و"عذرَاءُ جَاكَرْتَا" و"عَمَالِقَةُ الشمالِ" و"ليَـالِي تركستَان" ... وسواهَا.

يَنْضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ شَاعِرَنَا كَانَ وَاحدًا من رَادَةِ الاتجاهِ الإسلاميِّ في الأدبِ المعاصرِ، وقدْ بدَأَتْ-مَطْلَعَ الستينيَّاتِ مِنَ القَرْنِ المُنْصَرِمِ-الدعوةُ إلى الأدبِ الإسلاميِّ بوصفِهِ تعبـيرًا فنيًّـا عـن الإنسانِ والكونِ والحياةِ وَفْقَ التصورِ الإسلامي، غيرَ أنَّ هذَا الاتِّجَاهَ طَالَمَا نُظرَ إليه بعـين السـخط وعينُ السخطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا؛ إذْ قُوبِلَ ذلكَ الاتجاهُ مِنْ قِبَلِ بعضِ النقادِ بالإغفالِ والإهمالِ حينًـا، وبالتشكيكِ والاتِّهَامِ أحيَانًا، فَمَا لِلأَدَبِ والإسْلامِ؟! إِنَّهُمَا لَمُخْتَلِفَانِ وبينهمَا برزخٌ لا يبْغِيَانِ!!.

وَإِنْ نَعْجَبْ فَعَجِيبٌ أَمْرُ ذَلِكَ الأَدِيبِ، وَقَدْ قَارَبَ إنتَاجُهُ الأدبيُّ مِائَةَ كِتَابٍ أو يَزِيدُ، فَلَقَدْ كَانَ عَسِيًّا بِأَنْ يَلْفِتَ إِلَيْهِ نَظَرَ النُّقَّادِ والدارسينَ، بَيدَ أنهم لم يفعلُوا إلا قَلِيلا، وَمَنْ فَعَلَ منهم فـإنَّهم لا يَعْرِفُونَ مِنْهُ سِوَى نَجِيبِ الْكِيلانِيِّ الرِّوَائي، أمَّا نجيبُ الكيلانيِّ الشاعرُ فَـلا حِسٌّ هنالـكَ ولا خَبَرُ.

أَقولُ ذَلكَ وبينَ يديَّ بِضْعُ وُرَيقَاتٍ[1] كُتِبَتْ عن شعرِ الكيلانيِّ، لكنهـا-وَإِنْ أَفَـدتُ منهَـا دونمَا ريبٍ-لم تكن إلا تقديمًا لديوانٍ، أو قراءةً لآخرَ، أو عَرْضًا لفكرةٍ أو قضيةٍ تضمنهَا شعرُهُ، ثُـم إِنَّهَا إِلَى هَذَا وَذَاكَ قَدْ عُنِيَ بَعضُهَا بالمضمُونِ دُونَ الأَدَاءِ، وبالرؤيَةِ دونَ الإجرَاءِ، ناهيكَ عن افتقَادِ بعضِهَا الآخَرِ إلى تكاملِ المعالجةِ واستيعابِهَا؛ فَقَدْ عرفت شيئًا، وغابتْ عنهَا أشياءُ.

أَلا يَنهَضُ كُلُّ ذَلكَ مسوغًا لقيامِ دراسةٍ تُحَـاولُ-مَـا اسـتطاعتْ إِلَى الموضـوعيَّةِ سَـبِيلا-تقديمَ قراءةٍ لشعرِ نجيبٍ الكيلانيِّ، قراءةٍ جَامِعَـةٍ فِي مُقَارَبتِهَـا ذلـكَ الشـعرَ بـينَ دِعَـامَتَي الـنصِّ الأدبيِّ، ورُكنيهِ الرَّكِينَيْنِ: الرؤيَةِ والإجْرَاءِ، أو القيمِ الموضوعيةِ والقيمِ الفنيةِ؛ إِذْ هُمَا لُحْمَـةُ القـراءةِ النَّقديةِ وَسَدَاهَا، ولِتَجْبُرَ-فِي الآنِ عَيْنِهِ-نَقْصًا، بل تقصيرًا في مكتبةِ الدراسَاتِ الأدبيةِ تِجَـاهَ ذَلكـم الشاعرِ، ثمَّ لِتُقِيمَ من فنهِ الشِّعريِّ نِدًّا لفنِّهِ الرِّوَائِيِّ.

تِلْكَ غايَاتٌ تَغَيَّتْهَا هذِهِ الدرَاسَةُ، وَلَقَدْ جاءتِ في أربعـةِ فصـولٍ يتقـدمُهَا تمهيـدٌ وتَعْقُبُهَـا خاتمةٌ.

---

[1]-من الدراسات التي كتبت عن شعر نجيب الكيلاني:

1-"شعر نجيب الكيلاني بين مقتضيات الرسالة وآفاق التطور" للدكتور جابر قميحة.

2-نجيب الكيلاني والقصة الشعرية للدكتور جابر قميحة.

3-السجنيات في أدب الكيلاني للدكتور جابر قميحة.

4-الحوار الفني في شعر نجيب الكيلاني للدكتور جابر قميحة.

5-الرمزية والقناع في شعر نجيب الكيلاني للدكتور جابر قميحة.

6-هوامش وملاحظات حول ديوان "مهاجر" للشاعر عبد المنعم عواد يوسف.

7-مع ديوان "عصر الشهداء" للأستاذ محمد حسن بريغش.

8-مقدمة الأستاذ عبد الستار عجور لديوانه الأول "نحو العلا".

أما **التمهيدُ**، فقد تناولتُ فيه-بإيجازٍ-حياةَ الشاعرِ والعواملَ التي أَسْهَمَتْ في تكوينهِ الأدبيِّ، كما ضَمَّنْتُهُ قائمةً بإنتاجِهِ الأدبيِّ.

وفي **الفصلِ الأولِ** - وهو الفصلُ الذِي عُنيَ بجانبِ الرؤيةِ عندَ الشاعرِ-تناولتُ أهمَّ الفنونِ الشعريةِ عندَ نجيبٍ الكيلاني، فتحدثتُ عن شعرِهِ الوطنيِّ والسياسيِّ، وتجربةِ السجنِ، كما تناولت مدحَهُ ورثَاءَهُ، وغزلَهُ، وتصوفَهُ، وحنينَهُ، وشِكَايَتَهُ، ثم أَلممتُ في نهايةِ الفصلِ بثلاثةِ فنونٍ لم تَشْغلْ من شعرِ الكيلانيِّ المساحةَ التي شغلتْهَا الفنونُ الآنفةُ، وهيَ: شعرُ الطبيعةِ، وشعرُ التأملِ، والشعرُ الاجتماعيُّ.

وأما ثلاثةُ الفصولِ الباقيةِ فقد عُنيتْ بجانبِ الإجراءِ، أو وسائلِ التشكيلِ الفنيِّ عندَ الشاعرِ، وقد عُنِيَ **الفصلُ الثاني**-وَهُوَ أَوَّلُهَا-بدراسةِ القيمِ الفنيةِ والتصويريةِ عند الشاعرِ خلالَ أربعَةِ مباحِثَ، تناولتُ في الأولِ منهَا الصورةَ الفنيةَ: مفهومَهَا، وأنماطَهَا، ووسائِلَ تشْكيلهَا، وَمَا وَقَعَ فيهِ الشاعرُ من هَنَوَاتٍ تصويريةٍ.

وفي المبحثِ الثانِي تناولتُ نمطًا خاصًا من التصويرِ الفنيِّ، يوافقُ الصورةَ نَوعًا، ويُغَايرُهَا، بل يَفُوقُهَا دَرَجةً وهوَ الرمزُ الشعريُّ أو الفنيُّ، فتناولتُ أهمَّ الرموزِ التي وردتْ عندَ الشاعرِ، جزئيةً كانتْ، أو كليةً، ومَدَى إجَادةِ الشاعرِ أو إخفَاقِهِ في بناءِ الرمزِ الشعريِّ.

أما المبحثُ الثالثُ فقد اهتمَّ بدراسةِ ظاهرةٍ غَدَتْ سِمَةً من سماتِ شعرِنَا العَرَبيِّ الحَدِيثِ، فَلا يَكَادُ يستغنِي عنْهَا خِطَابٌ شعريٌّ معاصرٌ، وهي ظاهرةُ استدعَاءِ المورُوثِ، واستخدامِهِ وسيلةً من وسائلِ الأداءِ الفنيِّ، وقد توقفْتُ في ذَلِكَ المبحثِ أمامَ أهميةِ الرافِدِ التراثيِّ في بناءِ التَّجْرِبَةِ الشعريَّةِ، وأهمِّ المعطياتِ التراثيةِ التي اسْتَرْفَدَهَا شاعرُنَا، وآليَّاتِ الاسْترْفَادِ والتوظيفِ الفنِّيِّ.

وثمةَ ظاهرةٌ أخرَى تُمثِّلُ-إلَى جَانِبِ الاستدعَاءِ التَرَاثِيِّ-أداةً مِنْ أدوَاتِ الشِّعْرِ المُعَاصِرِ، وَهِيَ ظاهرةُ تداخُلِ الفُنُونِ أو تَفَاعُلِهَا فِي بنَاءِ القَصِيدَةِ المعاصرَةِ؛ إِذْ غَدَا الشاعِرُ يَسْتَرْفِدُ فُنونًا أُخرى أدبيةً وغيرَ أدبيةٍ أدَوَاتِهَا فِي بناءِ قَصَائِدِهِ، وَذَلِكَ مَا عُنِيَ بِهِ المبحَثُ الرَّابِعُ والأخيرُ مِنْ ذَلِكَ الفصلِ، فَتَنَاوَلْتُ فيهِ أهمَّ الصوَرِ البنائيةِ التي اتَّخَذَتْهَا القَصِيدَةُ الكيلانيةُ، كالبِنَاءِ الحِوَارِيِّ والبناءِ القَصَصِيِّ، والبِنَاءِ المَقَالِي، والبِنَاءِ الحُرِّ، وَمَدَى إِسْهَامِ تِلْكَ الأَبْنِيَةِ فِي تَشكيلِ الرؤيَةِ الشعريةِ، وتحقيقِ الوَحْدةِ العُضويةِ للقصيدةِ الكيلانيَّةِ.

وَإِذَا كانَ الشعرُ بِناءً لُغَويًّا، أو هوَ فَنٌّ بِاللغَةِ كَما يَقُولُ أُسْتَاذُنَا الدكتورُ مُحمد فتوح، فَلا مَنْدُوحَةَ-مِنْ ثَمَّ-أمامَ قراءةٍ تَتَغَيَّا اكتِنَاهَ جَمَالِيَّاتِ النَّص الأدبيِّ بوجهٍ عام، والشعريِّ منهُ بوجهٍ خَاصٍّ مِنْ أَنْ تَتَأَتَّى إليهِ مِنْ مَدْخَلِهِ الذِي لا يَسُدُّ مَسَدَّهُ مَدْخَلٌ سِوَاهُ، عَنَيْتُ: اللغَةَ، وَتِلْكَ حقيقةٌ نقديةٌ ارتَكَنَ إليهَا أولُ مبحثينِ ضمهمَا **الفصلُ الثالثُ**، وهوَ المبحثُ الخاصُّ بالظواهرِ الأسلوبيةِ عند الشاعرِ، وقد وَطَّأْتُ ذلكَ المبحثَ بمهَادٍ نظريٍّ موجَزٍ عنِ الأسلوبيةِ والأسلوبِ؛ لأنتقلَ منهُ إلى دراسةِ أهمِّ الظاهرَاتِ الأسلوبيةِ فِي شعرِ الكيلانيِّ بمستوييهَا: الإفرادِيِّ والتركِيبيِّ.

ففِي المستوَى الإفرَادِيِّ تناولتُ أَهَمَّ ظَاهرتينِ لفظيتينِ عندَ الشاعرِ وهما: التجنيسُ والتقابلُ، تناولتُهُمَا لا بحسبانِهِمَا حِلْيةً يَتَزَيَّا بهَا النصُّ الشعريُّ، بل بحسبانِهِمَا أداتينِ مُهمتَيْنِ فِي بنَاءِ الدِّلالَةِ وَإِنْتَاجِ المَعْنَى، وتوقفتُ فِي المستوَى التركيبيِّ أمامَ ظواهرَ ثلاثٍ، هي: التقديمُ والتأخيرُ، والحذفُ، والأساليبُ الخبريةُ والإنشائيةُ، ثم أنهيتُ المبحثَ بنُبْذَةٍ عن أسلوبِ التَّكْرَارِ ودَورِهِ في تحقيقِ التماسكِ النصيِّ للقَصِيدَةِ.

أما ثانِي المبحثينِ فقد تناولتُ فيهِ مُفردَاتِ المَتْنِ الشعْرِيِّ أو مُعْجَمَ الشاعرِ، ولقدُ آثَرْتُ التعاملَ معَ ذلكَ المعجمِ مِنْ خلالِ نظريةِ الحقولِ الدلاليةِ؛ إيمانًا بأنهُ: لكيْ يُفهمَ معنَى كلمةٍ يجبُ أن تُفهمَ كذلكَ مجموعةُ الكلماتِ المرتبطَةِ بهَا دِلاليًّا، وقد توقفتُ-مِنْ ثَمَّ-أمامَ سبعَةِ مَحَاوِرَ أو حقولٍ رأيتُهَا أهمَّ الحقولِ الدِّلاليَّةِ عندَ الشاعرِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ كُلَّهَا.

وفِي **الفصلِ الرابعِ** تناولتُ البنيةَ الإيقاعيةَ فِي شعرِ نجيبٍ الكيلانيِّ، وَقَدْ مَهَّدتُ ذلكَ الفصلَ بحديثٍ عن عُضويةِ المُوسيقَى فِي النصِّ الشعرِيِّ، ثم تناولتُ أهمَّ الأبْحُرِ التي نَظَمَ نجيبٌ الكيلانيِّ قصائدَهُ عليها، مُتَتَبِّعًا صُورَ تلكَ البحورِ في شعرِهِ، وتناولتُ-كذلكَ-القافيةَ في شعرِهِ البَيْتِيِّ والتَّفْعِيلِيِّ، وأهمَّ صُورِ التنويعِ القَافَوِيِّ عِنْدَ الشاعرِ، كَمَا أَشَرْتُ فِي تَضَاعِيفِ ذَلِكَ الفَصْلِ إِلَى أهمِّ صُوَرِ التجديدِ المُوسيقِيِّ عندَ الشاعرِ، وبَعْضِ الهفواتِ الموسيقيةِ لديهِ، ثُمَّ أَنْهَيْتُ الفَصْلَ بِإِضْمَامَةٍ تناولتُ فيهَا أَهَمَّ الهنَاتِ التِي وَقَعَ فيهَا شَاعِرُنَا.

ثُمَّ كَانَتِ **الخَاتِمَةُ**، وَبِهَا انْتَهَتِ الدِّرَاسَةُ.